

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

@ 335 @ فقال إني أخاف أن أؤخذ فأرد فبعث معه من أوصله إلى مأمنه وبلغ الخبر الرشيد فدعا به وطاوله الحديث وقال يا جعفر ما فعل يحيى قال بحاله قال بحياتي فوجم وأحجم وقال لا وحياتك أطلقته حيث علمت أن لا سوء عنده فقال نعم الفعل وما عدوت ما في نفسي فلما نهض جعفر أتبعه بصره وقال قتلني إني لم أقتلك .

وقيل سئل سعيد بن سالم عن جناية البرامكة الموجبة لغضب الرشيد فقال وإني ما كان منهم ما يوجب بعض عمل الرشيد بهم ولكن طالت أيامهم وكل طويل مملول وإني لقد استطال الناس الذين هم خير الناس أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما رأوا مثلها عدلا وأمنا وسعة أموال وفتوح وأيام عثمان رضي الله عنه حتى قتلوهما ورأى الرشيد مع ذلك أنس النعمة بهم وكثرة حمد الناس لهم ورميهم بآمالهم دونه والملوك تتنافس بأقل من هذا فتعنت عليهم وتجنى وطلب مساوئهم ووقع منهم بعض الإدلال خاصة جعفر والفضل دون يحيى فإنه كان أحكم خبرة وأكثر ممارسة للأمور ولاد من أعدائهم بالرشيد كالفضل بن الربيع وغيره فستروا المحاسن وأظهروا القبائح حتى كان ما كان وكان الرشيد بعد ذلك إذا ذكروا عنده بسوء أنشد يقول .
(أقبلوا عليهم لا أبا لأبيكم % من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا) .

وقيل السبب أنه رفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها فيها .

(قل لأمين إني في أرضه % ومن إليه الحل والعقد) .

(هذا ابن يحيى قد غدا مالكا % مثلك ما بينكما حد) .

(أمرك مردود إلى أمره % وأمره ليس له رد) .

(وقد بنى الدار التي ما بنى الفرس % لها مثلا ولا الهند) .

(الدر والياقوت حباؤها % وتربها العنبر والند)